الأداء الخارجي المصاحب الكلام، وقطعية الدلالة

د. بدر بن سالم القطيطي

مدخل البحث

١.١. تأطير موضوع البحث، وبيان حدوده، وعنوانه.

اللغة - في المخبر اللساني١ - نظام له عناصره الأساس المكونة له بصورة علمية؛ إذ لا بد لكل عنصر لغوي أو صورة سمعية أو كتابية من بُعْدٍ يمثله، وهذا البُعْدُ هو التصور الفكري الذي يحمله هذا الدال، وهو ما يعرف عند دي سوسير (De. Saussure) بالمدلول، حيث أطلق سوسير (Saussure) على التصور الفكري للعلامة أو الإشارة اسم المدلول، وأطلق على صورتها السمعية أو الكتابية اسم الدال، ويحمل كل دال في النظرية اللغوية بعدا دلاليا معينا يسعى المتكلم (الباث) إلى نقله - نطقا أو كتابة - إلى المستمع (المتلقي)، ويُدْعَمُ هذا النقل بالأداء اللغوي وغير اللغوي؛ لأنه يهدف إلى بيان مراد النشاط الإنساني، وما يدور في الذهن من دلالة.

إن من أكثر ما يشوب هذه التفاعل اللغوي بين طرفي الحدث الكلامي، ويجعل تصورات التواصل بينهما ضبابية، واستعمالاته تقريبية، ورسالته محتملة وغير قطعية هو جواز قراءة التركيب الواحد بأكثر من وجه، وكلها صالحة، ولا نملك في كثير من الأحيان ما يرجِّح إحدى القراءات، فتقبل مونيمات التراكيب تحقيق مستويات لغوية مختلفة، وهذه الظاهرة تتنزل ضمن ظاهرة لغوية عامة، تعرف بظاهرة اللبس المعنوي٢، وهي تعني تداخل فرعين في أصل واحد، وهو لأحدهما دون الآخر، فالتركيب الملبس - كما يقول جون ليونز - هو" كل جملة تحتمل بنيتها السطحية أكثر من قراءة ناتجة من تعدد البنى العميقة، أو بعبارة أخرى كل تركيب نحوي يحتمل أكثر من معنى"٣.

إن هذا التعدد في تحليل الجملة الواحدة يعكس اللبس الموجود في اللغات البشرية، وهذا ما يثبته علم اللغة التقابلي (Contrastive Linguistics)، فاللبس ملمح لغوي عام لا يقتصر على لغة بعينها، ولا تختص به واحدة دون أخرى، فتعدد قراءة التركيب والبنى السطحية خاصية جوهرية في الألسن البشرية المختلفة، فالبنية السطحية - مثلا - للعبارة الفرنسية: (La petite brise la glace) ملبسة حيث تلحظ أن لفظ (petite) في هذا الموضع يجوز أن يكون اسما بمعنى (الصغيرة)، أو يكون صفة بمعنى (العليل)، أما لفظ (brise) فيجوز أن يكون اسما بمعنى (النسيم)، أو يكون فعلا بمعنى (كَسَرَ)، وكذا القول في لفظ (glace) الذي يجوز أن يكون اسما بمعنى (الجليد)، أو فعلا بمعنى (مدَّ).

ساق هذا الاحتمال الوارد في هذه العبارة إلى وقوعها في دائرة اللبس؛ فهو ينتج صورتين مختلفتين على القول نفسه، ومن قبيل هذا في اللغة الإنجليزية قولك: (They passed the port at midnight) حيث تقع الجملة في دائرة اللبس المعجمي؛ نظرا لتعدد دلالة كلمة (passed) فهي قد تعني: ناول، أو مر على، أو جاوز، وتستعمل (port) بمعنى الميناء، وهي أيضا اسم نوع من الخمر؛ لذا فمحتوى الجملة الدلالي لا يمكن فهمه من خلال المنطوق وحده، وإنما يفهم المقصود بتلك الكلمات الملبسة أو التي يكتنفها الغموض من خلال السياق الذي جرت فيه.

لذا لم تكن العربية بمنأى عن ظاهرة اللبس المعنوي، وتعدد قراءة تراكيبها اللغوية، مع محاولة أبنائها التصدي له، واجتهادهم لمنعه من تراكيبها بما تمتلكه من قدرة لم تتوافر لكثير من اللغات، إلَّا أن اللبس يحدث في مستويات العربية المختلفة. فمن يقرأ كُتُبَ إعراب القرآن يلحظ تباين الأقوال في التركيب الواحد؛ لتداخل مستوياته؛ لهذا لم ينكر أحد من الباحثين في العصر الحديث وجود ظاهرة اللبس في درسنا اللغوي قديما وحديثا.

من هذه الزاوية الدلالية تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ(الأداء الخارجي المصاحب الكلام، وقطعية الدلالة) التعدد الحاصل في دلالة المكون الوظيفي في مستوى اللغة الصوتي؛ نتيجة أحد أمرين:

الأول: تغييب العناصر اللغوية المصاحبة الحدث الكلامي كالمفاصل الصوتية، والتنغيم، والنبر.

الآخر: تغييب العناصر غير اللغوية المصاحبة الحدث الكلامي كانسلاخ الحدث الكلامي من مسرح أحداثه، أو غياب الحركة الجسدية المصاحبة العمل اللغوي.

لهذا بُنيت هذه الدراسة على محورين رئيسين:

١- نفعية الخطاب بين استحضار الأداء الخارجي (العناصر اللغوية وغير اللغوية)، وتغييبه.

٢- جمالية لبس التراكيب في المستوى الصوتي.

في ضوء هذين المحورين تسعى الدراسة - بعد الفصل الأول الخاص بالمقاربة اللغوية المهتمة بدراسة المعنى وضبابيته - إلى بيان أهم مواطن تعدد المعنى في المستوى الصوتي، والوقوف على أهم بواعثه؛ لمعالجته أو التقليل منه، لتصل الدراسة إلى الخاتمة العامة، فالمراجع التي أفاد العمل منها. وقد فصلنا المستوى الصوتي عن غيره من المستويات؛ خدمة للدراسة وإيضاحا للمنهج، مع إيماننا بارتباط هذه المستويات؛ لأنه قد يشترك في تعدد توجيه تركيب ما مستويان أو أكثر، لأن " الحدود بينها غير واضحة تماما كما قد يجب أن يكون"٤.

١ .٢. مصطلحات البحث.

من أكثر مصطلحات الدراسة التي ستتردد على القارئ مصطلح (الأداء الخارجي المصاحب الكلام - العناصر اللغوية - العناصر غير اللغوية)، و(اللغة، والكلام) فضلا عن مصطلحي (اللبس والغموض) فرأينا قبل البدء في العمل أن نوضح المقصود من هذا المصطلح.

يصدر المتكلم - أثناء إنتاجه الكلام - سلسلة من الأصوات (الصوامت والصوائت) المتتابعة التي يأخذ بعضها بحجز بعض في تناسق دقيق؛ حتى ليخال للمتأمل في نشاط كلام الإنسان أن وضع حواجز واضحة، وحدود دقيقة بين مقطع أو صوت وآخر أمر بالغ الصعوبة؛ لأن المتكلم أثناء كلامه يصبغ كلامه وفونيماته التركيبية بألوان لا تحصى من الأداء اللغوي وغير اللغوي الذي يصاحب كلامه، كوصل الجمل، وفصلها، والتنغيم، والنبر، مع الاتكاء على لغة جسده، أو يأوي إلى ركن السياق؛ لإيصال مراده، وتقوية حجته، وإبلاغ كنه ما في نفسه.

إن الأداء المصاحب الكلام ظاهرة غير واضحة في أبجديتها، فهو أداء خارجي يمكن تسميته اللغة الجانبية التي تصاحب الكلام المنطوق، وتتصل به، وتؤثر في معناه، وقد اختلف علماء اللغة في مفهوم الأداء الخارجي، أو اللغة الجانبية على ثلاثة أقوال:٥

الأول: الأداء الخارجي هو الجوانب الصوتية التي تصاحب الكلام، كحالة الصوت عند نطق الألفاظ ارتفاعا، أو انخفاضا، أو تنغيما.

الثاني: هو الجوانب غير الصوتية كالسياق، وتعبير الوجه، أو حركات الرأس، أو العينين، والإشارة التي قد تفيد الموافقة، أو تضيف ظلالا معينة من المعاني إلى ما يقوله الناس. تمثل حركة الجسد رموزا اصطلاحية يستخدمها أفراد المجتمع بهدف التواصل، لذا يتعلمه الإنسان داخل المجتمع، فهي نظام - مثل النظام اللغوي - ولها أنماطها الخاصة بالثقافة، وقد تختلف من مجتمع إلى آخر، وهو من الأمور التي عالجها تراثنا العربي، أما في الدرس اللغوي الحديث فيدرس حركات الجسم المتصلة بالتخاطب ضمن الاتصالات غير الكلامية أو السلوك غير اللفظي. حيث اهتم به العالم الأنثروبولوجي الأمريكي ريي بيردوستل (Ray Birdwhistell)٦ وأطلق عليه مصطلح (Kinesics) الكينَسِيكس؛ أي: علم الحركة الجسمية المصاحبة الكلام.

الثالث: يجمع بين العنصرين - وهو ما يأخذ به البحث - فهم يطلقون الأداء الخارجي، أو اللغة الجانبية على الجوانب الصوتية، وغير الصوتية التي تصاحب الكلام كمفصل الصوتي، والتنغيم، والإشارات، وحركة الجسد.

أما اللغة (Langue) والكلام (Parole) فالدراسات اللغوية تفرق بينهما٧، فاللغة هي القواعد الموجودة في الدماغ، وهو ما يعرف عند تشومسكي (Chomsky) بالكفاية اللغوية (Competence)، والكلام هو استعمال هذه القواعد في المواقف المختلفة، وهو ما يعرف عند تشومسكي بالأداء اللغوي (Performance)٨.

أمَّا اللبس والغموض وقد يضاف إليها الإبهام فهي من المصطلحات المتداولة في الدرس اللغوي، وغالبا ما تُسْتَخْدَم بمعنى واحد يدور حول التداخل، والاختلاط،

وعدم الوضوح، فهي مصطلحات مترابطة متشابكة من حيث الدلالة، فاللبس هو الاختلاط والاشتباه٩، والغموض هو الخفاء، وعدم الوضوح١٠، ومثلهما الإبهام، فهم يقولون: كلام مبهم لا يعرف له وجه يؤتى منه، يقال: أمر مبهم إذا كان ملتبسا لا يعرف معناه١١.

ليس الهدف هنا التوسع في التعريف بهذه المصطلحات بل سنكتفي هنا بما جاء من تفريق بينها كمدخل يسهل لمن يقرأ المصطلح، وسيقف البحث - في أثنائه - على مقاربة اللبس في الدرس اللغوي، وسنعتمد هنا - رغبة في اختصار المصطلح - التفريق بينهما من جهة كون المكون الوظيفي ملبسا إذا كان صالحا لأكثر من قراءة، وقد يصحب هذا اللبس تعدد في وظيفة المكون الإعرابية، أما الغموض والخفاء فلا يشترط أن تتعدد معه قراءة المكون.

الباب الأول: إطار الدراسة النظري.

١,١. مقاربة اللبس المعنوي في المشاغل اللغوية الحديثة.

إن مصطلح اللبس اللغوي (Ambiguity) الذي رفع من شأنه العالم اللغوي تشومسكي (Chomsky)، وقدم فيه العبارة المشهورة (old men and women)، أنه يحمل في المعاجم الإنجليزية معنى تعدد احتمالات المعنى، أو اللغة المجازية١٢ التي تُمَثِّل المستوى الفني، والجمالي المتصل بالدلالات، والرموز المرتبطة بالأعمال الإبداعية كالشعر مثلا، وقد أثبت هذا الشاعر والناقد الإنجليزي وليم امبسون (William Empson) في كتابه: سبعة أنماط من الغموض (Seven Types of Ambiguity) الذي نشره عام ١٩٣٠م١٣. ولم يكن مصطلح اللبس أو الغموض عند امبسون (Empson) مطلبا لذاته، ولا يعتد به كخدعة يسعى إلى إيجادها، ولكنه يتولد من الحالة الخاصة التي تبرر وجوده، فالغموض عنده "كل ما يسمح لعدد من ردود الفعل الاختيارية إزاء قطعة لغوية واحدة"١٤.

لعل تحديد مصطلح الغموض وأنماطه عند امبسون (Empson) قد سبقه بعض الاهتمام عند الأوروبيين من خلال دراستهم النصوص الأدبية، حيث يُرْجِعُ بعض الباحثين١٥ هذه الجهود إلى الشاعر الإيطالي دانتي (Dante) الذي كان أول من نظر في تعدد مستويات المعنى في النص الأدبي، كما فتحت دراسة الناقد الإنجليزي جريرسون (Grierson) عن الشاعر جون دون (Jhon Donne) الباب في هذا المجال من أجل الكشف عن مظاهر الغموض في شعر بعض الشعراء، وتعدد مستويات المعنى فيه.

أما في العصر الحديث فقد تصدى الفلاسفة لدراسة مشكلة المعنى، وعلاقته بالغموض والوضوح، وما يتعلق بأعمال اللغوية، وقوتها المنجزة الحرفية، والاستلزامية كالفيلسوف فريجه (Frege)، وفيتغنشتاين (Wittgenstein)، وراسل (Russell)، وستراوسن (Strawson)، وكرناب (Carnap) وقد تمثلت أبحاثهم حول اللغة في أقاليم ثلاثة هي الدقة والوضوح والصدق، في مقابل الغموض واللبس والكذب.

إن مقاربات ظاهرة الغموض وتعدد المعنى اللغوي دليل على وجود هذه الظاهرة في تراكيب الألسن البشرية، والعربية لا تخلو تراكيبها - مع اهتمام أبنائها بدفعه - من اللبس الذي يظهر في مستوياتها اللغوية، فهو يضرب بسهم وافر في تراكيبها المختلفة، وهذا ما تؤكده الدراسات التطبيقية والنظرية من أن مشكلة فك اللبس اللغوي هي من أهم مشكلات فهم النصوص، والتعامل معها آليا، وأن أغلب المشكلات اللغوية للترجمة لبسية؛ مما يعيق حوسبة أنظمة العربية، فضلا عن إعاقة نجاح التواصل بين طرفي الحدث الكلامي، وقد وقف على هذا الحقيقة كثير من الباحثين في العصر الحديث١٦، يقول الخطيب: "إن من أهم الصعوبات التي قد تواجه الحاسب الآلي كمعجم ثنائي اللغة يمارس عملية الترجمة من لغة إلى أخرى، مشكلة تعدد معاني الكلمة الواحدة، وهناك أيضا مشكلة وجود بعض تتابعات من الكلمات التي يمكن أن تنتمي إلى أكثر من تركيب كعبارة (A son of Pharaohs daughter) في اللغة الإنجليزية، يمكن أن تشير إلى (ابن لبنت فرعون)، أو (ابنة لابن فرعون)، بمعنى أنه يمكن أن يدل على حفيد فرعون أو حفيدته"١٧.

يؤكد مهدي عرار انطلاقا من مشوار بحثه (ظاهرة اللبس في العربية)، ومعاشرته مواضع اللبس أنَّه لا يقتصر على البشر بل يمتد -في بعض مواطنه- إلى الحاسوب (الآلة الصماء) يقول: "فكم وقفنا -ونحن نعمل مع د. نهاد الموسى- عند اشتباه يقع فيه الحاسوب، ومن ذلك أن تحسب النون والياء في (مساكين) علامة لجمع السلامة، و(التاء) في أواخر بعض الأفعال ضميرا متصلا، وذلك

نحو (أَبِيتُ)، وتوهم القول على مرجع الضمير، وفقدان الذاكرة السياقية، وغير ذلك كثير، كل هذا المتقدم قد يقع المرء في اشتباهه، ولكن الحاسوب به أولى"١٨.

هذه باختصار شديد لمحة من مقاربة اللغويين ظاهرة اللبس المعنوي وتعدد دلالة التركيب، حيث اهتموا به اهتماما كبيرا؛ لكونه أهم ما قد يشين التواصل الذي يمثل وظيفة اللغة الكبرى والأساس، ولتحقيق نجاح هذا التواصل كان تحقيق أمن اللبس الغاية القصوى للاستعمال اللغوي١٩؛ فبذل النحويون ما يستطيعون لإنجاز قواعدهم على نحو من الدقة والانضباط ليتكلم المتكلم بلغة نقية من التعمية خالية من الغموض نائية عن الوهم واللبس٢٠، فصبوا جل اهتمامهم في ردِّ اللبس والخطأ، فحذروا منه، وقرروا لا خطأ ولا لبس٢١، وجعلوا لقواعدهم قيدًا ركنوا إليه كلما ارتابوا من وقوع اللبس والخلل؛ ليصونوها، ويقدّموها جليَّةً بيِّنة، فأَردفوا قواعدهم بقولهم: إذا أُمِنَ اللبس، أو مخافة اللبس، أو بما هو في معناهما٢٢، وقد عقد صاحب الأشباه والنظائر فصلا تحت عنوان (اللبس محذور)٢٣ تعرض فيه للأساس الذي هيكل نحاة العربية عليه قواعدهم، وأسسوا بناء عليه تصوراتهم، وتعليلاتهم لمباحث اللغة، فاللبس محذور عندهم، ولا ينبغي إلا أن يكون كذلك، ولهذا بحثوا الأشباه والنظائر التي يمكن أن يقع فيها الخلط واللبس.

٢,١. مقاربة المعنى في الدرس اللغوي العربي.

اعتنى درسنا اللغوي بالمعنى، وأولاه فائق الرعاية، وَعَوَّل عليه معولا كبيرا، فدرسه علماؤنا دراسة موسعة، وفصلوا فيه القول، فالكلام عندهم قائم على جسد وروح، فالنطق جسده، والمعنى روحه، يقول ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ): "الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه "٢٤؛ فاختاروا ألفاظهم، وانتقوها بعناية فائقة؛ لأن "رداءة اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الرقيق، ويفسده، ويعميه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل"٢٥.

ردَّ علماء العربية حجة مَن ادَّعَى عليهم عنايتهم بالألفاظ، وإغفالهم المعاني، يقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): "إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها، وتهذبها، وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، وبالأسجاع التي تلتزم وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندهم، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها"٢٦.

لم يكن انتصار النحويين للمعنى محض اتفاق أو مشايعة نفسية، ولكن هذا الولاء تسنده فلسفة كلامية ولغوية قوية، فبلغ من اهتمامهم بالمعنى، تقديمه على الإعراب؛ فجعل ابن هشام (ت ٧٦١ ه) أولى الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها: " أن يراعى ما يقتضيه ظاهر الصناعة، ولا يراعى المعنى، وكثيرا ما تزلُّ الأقدام بسبب ذلك"٢٧، فأوجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفردا أو مركبا، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور، على القول بأنها من المتشابه، الذى استأثر الله تعالى بعلمه.

من إكرام المعنى تمسكهم بمبدأ الإفادة، والأخذ بالمعنى، وترك الإعراب؛ فـ"إذا كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب"٢٨، وقد عقد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بابا في تجاذب المعاني والإعراب، جاء فيه" وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلاما ما، أمسكت بعُرْوة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"٢٩.

من تجاذب المعنى والإعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾٣٠، فالظرف الذي هو (يَوْمَ) يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو (رَجْعِ)؛ أي: أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، لكنَّ الإعراب يمنع منه؛ للفصل بين الظرف الذى هو (يَوْمَ تُبْلَى)، وما هو معلق به من المصدر الذى هو المراجعة، والفصل بين المصدر ومعموله أمر لا يجوز، إلا المعنى يطلبه لذا تحتال للمعنى، وتقدر للإعراب؛ بأن تضمر ناصبا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل، ويصبح التقدير: يرجعه يوم تبلى السرائر، ودل المصدر (رجعه) على الفعل (يرجعه) دلالة المصدر على فعله.

آيات كثيرة٣١ مثل هذا، وكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) يمتلئ بحالات عدة قائمة على خدمة المعنى، فقد كان يحرص على تصحيح المعنى قبل تصحيح الإعراب، فأقام بابا في (الاستقامة من الكلام، والإحالة)٣٢؛ والاستقامة اللغوية التي ينشدها سيبويه (ت ١٨٠ هـ) يتجاذبها قطبان:

- سلامة التركيب باكتمال عناصر التركيب.
- سلامة الدلالة بتوافق العلاقة بين العناصر والمعاني.

باجتماع هذين القطبين يصبح عماد التركيب المستقيم السلامة النظمية أولا، ثم الدلالية ثانيا؛ لأنَّه لا يستقيم أن يُكتفى بقواعد النظم لتكون مرجعا هاديا إلى طرائق السلامة اللغوية، لذا يتعين استرفاد الجانب الدلالي المنضاف إلى تلك القواعد النظمية التركيبية، وهذا يؤكد أن سيبويه (ت ١٨٠ هـ) سبق تشومسكي (Chomsky) فيما ذهب إليه في كتابه (البنى النحوية)٣٣ الذي مزج فيه العنصر الدلالي بالعنصر النحوي للحكم بقبول التراكيب من عدمه.

إن من يقرأ الكتاب يجده يردُّ بعض التراكيب المستقيمة إعرابيا؛ إكراما للمعنى، فهو لا يجيز الإشارة إلى المخاطب٣٤، فلا يصح عند سيبويه (ت ١٨٠ هـ) أن تقول: (هذا أنتَ) مع تماشيه مع نظام الجملة وإعرابها، ولكنه لا يجيزها؛ "لأنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير له إلى غيره، ألا ترى أنك لو أشرت له إلى شخصه فقلت: (هذا أنت)، لم يستقم"٣٥.

كان من اهتمام سيبويه (ت ١٨٠ هـ) بالمعنى تخصيصه بابا لما "يضمرون فيه الفعل؛ لقبح الكلام إذا حمل آخره على أوله"٣٦ فهو لم يحمل عمرو في (ما شأنك وعمرا)؛ لأن الشأن لا يلتبس بعمرو، وإنما يلتبس بالرجل المضمر في الشأن، لهذا نصبه، ولم يرفعه كما رفع (زيد) في نحو: (ما أنت وزيد). وهذا شيء من شواهد تعويله على المعنى "فهو المحك في الحكم على ما يجوز، أو ما لا يجوز"٣٧، يقول في باب ما ينتصب من المصادر لأنَّه عذر لوقوع الأمر" فانتصب لأنَّه موقوع له، ولأنَّه تفسير لما قبله لمِ كان ؟ وليس بصفة لما قبله ولا منه، . . .، وذلك قولك: فعلت ذاك حذَارَ الشر، وفعلت ذلك مخافةَ فلانٍ، وادخارَ فلانٍ"٣٨، وهذا يؤكد أن سيبويه لم يتكئ على العلامة الإعرابية كمعيار وحيد للتفسير، بل كان يواكبه عناية شديدة بالمعنى، لهذا لا تجد الكتاب يقتصر على النحو الشكلي الذي يهتم بأواخر الكلمات إعرابا، وبناء، وإنما أراد بالنحو انتحاء سبيل العرب في بنية ألفاظها وأساليبها، وما يستتبعه المقام، ومقتضى الحال من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو فصل ووصل، أو قصر وإطلاق، أو تعريف وتنكير، وإن كان قد اهتم بالإعراب وتعليلاته فإن اهتمامه به جاء فطريا ميسورا لتعليل مباحثه النحوية وتفسيرها، ولم يصل إلى تلك الدرجة من التعقيد والشكلية التي عُهدت في كتب المتأخرين، فجاء معه الإعراب فرعا للمعنى، واتخذ حركاته دليلا على المعنى، وفوق ذلك تراه يرجح وجها إعرابيا على آخر لا لشيء إلا لأن المعنى والسياق يطلبه ويحتمه٣٩.

عَدَّ بعض الدارسين عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) رائد دراسة المعنى في التراث العربي؛ حيث انطلق في بناء الجملة من المعنى إلى المبني، مخالفا في ذلك منهج من سبقه من علماء العربية كسيبويه (ت ١٨٠ هـ) الذي يقف كتابه بكبرياء بما يحويه من نظرات ثاقبة، وقوانين دقيقة توصل إليها مؤلفه. ومثله في هذا الفضاء الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)٤٠، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ)٤١، كانت لهم ومضات فكرية تشرق في أعمالهم، لكنها لا تلبث أن تخبو، دون أن تترك وراءها أثرا لنظرية شاملة كالتي توصل إليها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)٤٢.

إن أهم ما يجمع فكر علمائنا ربطهم بين النحو والدلالة في قبول صحة التركيب فلم يغفلوا هذا الملحظ في تواصلهم، وحكمهم على تراكيب لغتهم، فقرروا أن صحة التركيب النحوي المحض لا تكفي وحدها لتحقيق هدف التواصل (Communication) إذا لم يتفاعل العنصران النحوي والدلالي. فيحيل دون صحة بعض الجمل التناقض الواقع بين زمن الفعل، وزمن الظرف، فاستحال وجود علاقة بين العنصرين النحوي والدلالي؛ فالتركيب لا يحتمل وحده دلالة الكلمات والجمل٤٣، وإذا ما أردنا أن نطبق هذه المنوال (المزج بين النحو والدلالة) على تراكيب العربية مثلا نجدها لا تخرج عن ثلاث هيئات:٤٤

الأولى: جمل خارجة عن قواعد التراكيب، تكون الجمل ملقاة على عواهنها المتجافية عن قواعد النظم الجملي في العربية، وهذا النوع لا إبانة فيه البتة، فهي جمل خارجة عن مضمار أعراف النظام اللغوي، فلا يتعلق الفكر بمعاني الكلم المجردة من معاني النحو؛ لأن مفهوم الجملة مرتبط ارتباطا وثيقا بالدلالة التركيبية؛ لأن الجملة هي الميدان الذي تظهر فيه تلك الدلالة، وقد نص على هذا عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)٤٥.

الثانية: جمل توافق القواعد التركيبية، وتفترق عن الملحظ الدلالي، وهو كقولنا: تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بتهيج، حيث نتج عن هذا الخلل في ترتيب العناصر إلى تكوين تراكيب خارجة عن قواعد النظام النحوي في اللغة، وبالتالي إلى تراكيب لا ينطق

بها وغير مقبولة، فالعلاقات النحوية بين عناصر تلك الجملة غير معطلة، ولكونها غير معطلة أنتجت دلالة غير مفهومة، لأنه لو عزل كل عنصر لوحده من دون تلك العلاقات النحوية لفهمنا المعاني المعجمية لتلك العناصر دون أي لبس.

الثالثة: جمل توافق المطلبين (القواعد والدلالة)، وفي هذا النوع تكون الإفادة، ويقتنص مطلوب المرسل.

إن هذا الدمج بين مطلبي النحو والدلالة معا في التحليل اللغوي هو ما ركز عليه الدرس اللغوي - قديما وحديثا - وما ذلك إلا لإقامة الاتصال بين طرفيه، وتحقيق نجاحه، ومع كل هذه العناية بالمعنى والوسائل التي تقدمها اللغات؛ خدمة لبيانه، وإبعاده عن اللبس والغموض، نجد أنفسنا كثيرا ما نقف وجاه أنماط كلامية ملبسة؛ لهذا كان ملحظ تعدد المعنى شائعا في المستويات اللغوية جميعها؛ لذا سينصب عملنا في هذا العمل على تتبع صور هذا التعدد في المستوى الصوتي؛ رغبة في الوصول إلى أهم بواعثه وأسبابه، وبيان دور العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تصاحب الكلام في رفع هذا اللبس، أو التقليل منه.

الباب الثاني: الأداء الخارجي المصاحب الكلام وأثره في قراءة التركيب

٢.١. توطئة.

يسعى العمل إلى بيان أثر الأداء الخارجي (العناصر اللغوية وغير اللغوية) التي تصاحب الحدث الكلامي، فتسهم في بيان معنى قوته الحرفية، وتؤثر في قطعية دلالة استلزامه الحواري؛ حيث يؤثر هذا الأداء المصاحب بوصفه سلوكا لغويا يحدد معاني الكلام، ويحفظه من تعدد الدلالة، وانفتاحها؛ لأن معنى الوحدة المعجمي والعناصر اللغوية الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية قد تعجز عن بيان معنى الكلام، فثمة عناصر خارجية لغوية وغير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام، كشخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به٤٦.

إن محاورة النص بشكليه المكتوب والمنطوق تستلزم الربط بين أدائه الداخلي والخارجي؛ لأن ذلك لا ينفصل عن عملية الفهم، لهذا كانت قراءة النصوص قراءة صامتة مجالا للتفسير، والقراءة الجهرية فهي ذات طابع تأويلي؛ لأنها بين المعنى والصوت، ونطق المتكلم كلمة أو عبارة بتنغيم مختلف في كل مرة ينتقل بها من مجال دلالي إلى مجال آخر، ونبر بعض الكلمات يوحي إلى ارتباطها بفكرة مهمة يريد المتكلم بثها للمستمع٤٧، لأنه قد يكفي -أحيانا- في الحديث المنطوق مط كلمة لبيان المراد منها٤٨، وباستحضاره يكون بمكنة السامع أن يُمَيِّزَ المعنى المراد.

للأداء الخارجي المصاحب الكلام أثر في قراءة التركيب، وتوضيح دلالاته، وبيان مقاصده، فالعناصر اللغوية وغير اللغوية تُمَيِّزُ لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة، فالتحبير الصوتي - ولا سيما التنغيم (Intonation) أو موسيقى الكلام - في اللغة المنطوقة يماثل علامات الترقيم في اللغة المكتوبة٤٩، كلٌّ منهما يقوم بوظيفة دلالية في تحديد المعنى، فيؤدي الانحراف عن النطق - المتعارف عليه عند أصحاب اللغة - غالبا إلى اختلاف المعاني، وتباين المقاصد، ناهيك عن عدم وضوح المعنى، فالعبارة - وإن كانت سهلة، جارية على اللسان - قد تلتبس وتغمض متى عزلت عن مسرح أحداثها، أو تعاملنا معها مكتوبة، كما تلحظ في الأمثلة الآتي:

- قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾٥٠.
- قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا﴾٥١.
- السَّلَامُ عَلَيكُمْ.
- جاء في المثل العربي: (زَاحِمْ بِعُودٍ أَوْ دَع)٥٢.
- سَوْفَ أَرُدُّ لَكَ هَذَا. (I'm going to pay you back for that) ٥٣.
- قال أبو القاسم الشابي من قصيدة (صلوات في هيكل الحب):

عَـــذْبةٌ أَنْت كَالطُّفُـــولَة، كَالْأَحْلَام
كَاللَّحْـــن، كَالصَّبَـــاح الْجَـديد
كَالسَّمَـــاء الضَّحُوك، كَاللَّيْلَة الْقَمْرَاء
كَالْـــوَرْد، كَابْتِسَـــام الْوَلِيـــد

إن أي إخلال بطرق أداء العبارة يؤدي إلى صعوبة فهم المعنى المراد منها، أو تعذره؛ لتعاضد الأداء اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعاني وتجليتها، ففي قوله الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾ لا تتكشف جمالية دلالته إلا بالعناصر اللغوية المصاحبة هذا الأداء؛ حيث تبدو الآية الكريمة - للوهلة الأولى - بناء على مورفيماتها؛ أنها استفهامية، يعضده نظرنا إليها مكتوبة؛ لوجود القرينة اللفظية وهي أداة الاستفهام، غير أننا لو اعتمدنا

الأداء اللغوي، وعرضنا الآية الشريفة على أسماعنا من أفواه القراء، أو احتكمنا في قراءة هذه الآية إلى العنصر غير اللغوي المصاحب أداءها؛ فنظرنا إليها في سياق المعنى القرآني، لوجدنا الآية تبتعد عن دلالة الإنشاء الطلبي فليست الجملة استفهامية، فهي خبرية، والآية الكريمة بصياغتها من أساليب التحقيق والتأكيد؛ لذا جعل أكثر النحويين والمفسرين (هَلْ) بمعنى (قد)، والقرينة التي كانت لها الغلبة على (هل) الأداء اللغوي المصاحب (التنغيم المعبر عنه) وغير اللغوي (سياق الآية)، وبهذا تجرّدت الجملة من معنى الاستفهام، مع توافر قرينة الاستفهام اللفظية المعروفة.

إن هذا اللبس الحاصل في هذه الآية الكريمة تؤكد رؤية دي سوسير (De. Saussure) أن اللغة لا توجد إلّا بمقتضى نوع من التعاقد يحدث بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة٥٤، فشركاء الاتصال – على رأي كارل بونتنج٥٥– يستطيعون أن يرجعوا إلى مخزون مشترك من وسائل الاتصال، ويمكنهم بواسطتها أن يتناقلوا الأخبار؛ فيتسالم المرسِل المتلقي على دلالة معينة للعلامة اللغوية، لأن اللغة عبارة عن نظام من الرموز الصوتية، تكمن قيمة كل رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به، والاتفاق في الشفرة اللغوية شرط لنجاح التفاعل٥٦، وتدعم هذه الرموز الصوتية بالأداء اللغوي، وغير اللغوي الذي يصاحبها عند النطق بها، فاللغة هي "مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكونة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ –أيضًا– ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنها تشكل لا يستمد قيمته ولا دلالته من ذاته، وإنما يستمدهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى"٥٧.

أمَّا الشاهد في آية سورة البقرة فيرجع إلى احتمال غياب المفصل الصوتي وعدم معرفة موضع الوقف في الآية، مما قد يذهب على متلقي هذه الآية استنطاق جمال التشبيه فيها إلا إذا أحدث وقفة بعد اسم الإشارة، وابتدأ القراءة بالاسم الموصول، ليتضح بهذا المعنى، وينكشف جمال التعبير القرآني؛ لأن المفصل الصوتي يمثل قرينة صوتية تكشف عن البنية العميقة، ومعرفتها تساعد على تحديد المدلول المراد بالجمل؛ لأنّ بنية الجملة العميقة تساعد –أحيانا– على تفسيرها التفسير الصحيح، فالوصل والفصل لا ينشئ علاقات نحوية ليست موجودة، ولكنّه يختار بعض العلاقات النحوية القابعة تحت السطح المنطوق، ويظهر تأثيرها في التفسير، فلو اصطنع المتلقي لنفسه –في الآية الشريفة– علامة الترقيم لوضع فاصلة بين اسم الإشارة والاسم الموصول؛ أي: (قَالُواْ: هَـذَا، الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ)، ولأدرك أنهم يخبرون بالاسم الموصول عن اسم الإشارة، بإرادة تشبيه ما هو حاضر أمامهم، بما كان معهم، وتقدير الكلام: هذا مثل الذي رزقنا من قبل، وقد حذفت هذه المثلية المقدرة؛ لاستحكام الشبه، حتى كأن هذه الذات هي الذات نفسها، وفي هذا من مراعاة نفسية الجمال الكثير، وفيه ترقي بلذته الشعورية واستمتاعه بالأكل؛ لأن الإنسان بطبعه يأنس بالمألوف، ويميل إلى المعهود، فإذا رأى ما لم يألفه ربما نفر عن طبعه، وعافته نفسه.

نقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في تفسيره٥٨ قول بعض المفسرين في كون معنى الآية: هذا الذي وعدنا في الدنيا أن نرزقه في الآخرة، ويبقى الوجه الأول الأقرب إلى النفس، وإليه تميل، فالتشبيه بغير حرف فيه مبالغة، وادِّعَاء.

إن إغفال المتكلم المفصل الصوتيَّ علة جالبة توهم خلاف المراد، على نحو ما جاء في قصة أبي بكر الصديق التي أشار إليها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، قال: "مَرَّ رجلٌ بأبي بكر – رضي الله تعالى عنه – ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافاك الله، فقال أبو بكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله"٥٩.

كان البائع يحتاج إلى أحد أمرين لكيلا يوهم كلامه خلاف مراده، إمَّا المفصل الصوتي بين (لا) النافية جملة جوابية، وجملة الدعاء، وإمَّا أن يأتي بـ(الواو) التي تكشف المراد، وهي من محاسن هذا الباب، فاشترط البلاغيون وجودها في باب كمال الانقطاع إن أوهم الفصل خلاف مراد المتكلم، كقولك:

– لا، وأيدك الله. أو تقول: لا / أيدك الله.
– لا، وشفاك الله. أو تقول: لا / شفاك الله.

إن الأداء اللغوي وغير اللغوي الذي يصاحب الكلام يمنح التراكيب تلوينا مختلفا عما يبدو لنا من النظرة الأولى، لذا يقول تشومسكي (Chomsky) عند حديثه عن بنية الجملة السطحية (Surface Structure): إنها قد تعكس أكثر من بنية تحتية أو عميقة (Deep or underlying Structure)؛ لهذا "لا يصح في الفهم أن توصف الجملة بأنها

شريط أفقي متسلسل يقتنص المراد منه بالنظر إليه، والاكتفاء به"٦٠؛ لأن غياب الأداء الخارجي كالتنغيم وتجريد الأحداث الكلامية من سياقاتها الحية يجعل العبارة – وإن اشتهرت – مرتعا للتعدد، ومجلبا للاحتمال الدلالة، فالتنغيم قرينة صوتية تكشف قوة التراكيب الحرفية، واستلزامها الحوارية، ومعرفته تساعد على تحديد المراد بالجملة، وبيان مضامينها القضوية والضمنية، وهذا ينطبق على (السَّلَامُ عَلَيكُمْ) حيث تحتمل أكثر من دلالة؛ بالنظر إلى طريقة أدائها.

إن حضور المفصل الصوتي في قراءة المثل يجعل المعنى قطعي الدلالة؛ أي: (زَاحِمْ بِقُوَّةٍ أَوْ فَاتْرُكْ ذَلِكَ)؛ إلا أن غياب التحبير الصوتي قد يوهم أن معنى المثل هو: زَاحِمْ بِعُودٍ (أَوْدَع)؛ على أن (أَوْدَع) صفة لعود، كقوله: بِعُودٍ أَوْقَص، أو بِعُودٍ أَوْطَف، أو نحو ذلك مما جاء على أفعل وفاؤه واو. وهذا التعدد الناشئ في المثل السائر، ينسحب على المثال الثالث (سَوْفَ أَرُدُّ لَكَ هَذَا) عند عزله عن مسرح أحداثه، فيحتمل – مقصد المتكلم به – أن يكون وعدا، أو وعيدا.

أمَّا جملة (عَذْبَةٌ أَنْتِ) في قول الشابي فمضمونها القضوي هو الإخبار؛ لأنها تقرأ بنغمة مستوية، ولكن تحتمل وجها آخر، وهو أن نبدأ قراءة القصيدة بنغمة هابطة تنتهي بنغمة صاعدة تكشف لنا الاستفهام التعجبي، فالشاعر يستفهم: أعذبة كالطفولة أم أعذب منها ؟ لهذا تكون قراءة الاستفهام كاسية القصيدة حيوية يقويه تكرار صوت الكاف الذي يكشف حلقات مرحلة عاطفية متتابعة عاشها الشاعر، وهذه المراحل متلاحقة مترابطة، تشكل في بنائها وحدة موسيقية وإيقاعية مستقلة (كالطفولة أو كالصباح الجديد، . . .) هذا الإيقاع هو إيقاع نبضات قلب الشاعر، وزفراته التي كان ينفثها تجاه محبوبته؛ لأن الصوت يجسد الإحساس، ويجعل السامع يستشعر المعنى بطريقة مباشرة، لهذا تحس بحرارة عاطفته مع قراءة الاستفهام، لا قراءة الإخبار الجامدة.

يقول فيتغنشتاين (Wittgenstein): " لا تفتّش عن معنى الكلمة، إنّما عن الطريقة التي تستعمل فيها "٦١؛ فلا وجه للمقارنة بين اللغة المكتوبة واللغة الخطابية التي نسمع نغماتها، ومفاصلها الصوتية، ونرى مسرح أحداثها؛ فالكاتب في لغته لا يمكن أن يصور حركات الجسم، وتعبيرات الوجه، وغير ذلك من الملامح، والحركات التي تصحب الكلام عادة مثل (نغمة الصوت)، حيث ينبغي على الكتابة أن تصور ذلك بطريقة أو بأخرى؛ لهذا يعد التنغيم من الوسائل المعينة على كشف المعاني في اللغات المختلفة، ذلك أنه قد تشترك كلمتان في الفونيمات المكونة لهما، ولكن إحداهما تنطق بلحن أو تنغيم معين، وتنطق الأخرى بلحن مغاير، ولكل منهما معناها، فتجد لغات تستعمل النغمات لتقوم بدور وظيفي لتحديد دلالة الكلمات، كبعض اللغات الأوروبية كالسويدية، والفلندية، وبعض اللغات الآسيوية كاليابانية، والصينية التي تنطق بعض كلماتها بثلاث نغمات: مستوية، وصاعدة، وهابطة٦٢، يقول الوعر: "إنَّه من السهل أن يدرك المرء لغته صوتا ومعنى ونحوا، ولكن سيجد الأمر أكثر تعقيدا عندما يرى أن كلمة صينية كـ(ما) (ma) لها أربع دلالات تعتمد كل دلالة على درجة النغمة أو النبرة الصوتية التي ينطقها الإنسان الصيني مع أن الكلمة مؤلفة من صوتين اثنين فقط، هما الميم، والألف"٦٣.

إن بعض الصيغ المتماثلة كل التماثل – يقول فندريس (Vendryes)٦٤– لا تتميز بعضها عن بعض في الغالب إلا بالنغمة، إذ أن النغمة هي التي تعطي (φεινάελ) أن يكتب قيمة الحاضر، والنغمة هي التي تُميِّز (ταμεῖν) قَطْع، من (τόμος) قاطع، وهي وحدها التي تكون الفرق بين المبني للمعلوم، والمبني للمجهول في الأفعال الإغريقية المركبة.

تتخذ بعض اللغات الكرونيم (Chroneme The) وسيلة مميزة بين المعاني، كاللغة الإستونية (Estonian) التي تستعمل ثلاث درجات من طول الصوائت استعمالا وظيفيا٦٥، ومثال هذا في الإستونية كلمة (Sada) بمقطعين قصيرين تعني مائة، وبتطويل المقطع الأول (Saada) تكون فعل أمر بمعنى أرسِل، وبتطويل المقطعين (Saadaa) تصبح مصدرا بمعنى الحصول على أو السماح.

يتمثل الأداء الخارجي أو العناصر اللغوية وغير اللغوية المصاحبات الحدث الكلامي في نوعين:٦٦

النوع الأول: العناصر اللغوية، أو السمات التحبيرية الصوتية، وتعرف بالتطريز الصوتي، أو الفونيمات فوق التركيبية، أو الفونيمات الثانية، وهي التي تصاحب الكلام، وأهم هذه العناصر اللغوية المصاحبة الأداء: المفصل الصوتي (Juncture)، والتنغيم (Intonation)، والنبر (Stress)، ومعدل الأداء الكلامي

(Tempo).

النوع الآخر: العناصر غير اللغوية مثل: السياق، والحركة الجسمية المصاحبة الكلام.

أدرك علماء العربية قديما هذا البعد، فقد أورد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) نصا دقيقا، يمثل الوعي العربي القديم بأهمية الأداء المصاحب الكلام في إبراز المعنى، عند تعليقه على مثال سيبويه: سِير عليه ليلٌ، وهم يريدون: ليل طويل٦٧.

يقول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ): "وقد حذفت الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح، والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان، والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي: رجلا فاضلا، أو شجاعا، أو كريما، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا، وتُمَكّن الصوت بـ(إنسان) وتفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا، أو جوادا، أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا، وتزوي وجهك، وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما، أو لحَزا، أو مبخلا، أو نحو ذلك"٦٨.

لولا خشية الاستطراد لفصلنا القول في هذه العناصر، ولكن حسب البحث من المسألة ما يعضد الرأي، ويقوي الحجة، لذا سنقصر الحديث على بعض أمثلة الأداء الخارجي اللغوي وغير اللغوي وأثره في جلاء المعنى، وتحديد دلالته، وحفظه من التعدد والانفتاح، وسنعتمد التقسيم الذي ذكره ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في باب (توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين)، وجعله على ضربين:٦٩

أحدهما: أن يتفق اللفظ البتَّة، ويُختلَف في تأويله.

الآخر: أن ترى لفظة على صورة، ويحتمل أن يكون على غيرها.

٢. ٢. الألفاظ المتفقة البتَّة، والمختلفة في التأويل.

مثَّل ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) على الضرب الأول بقول العرب: (هَذَا أَمْر لا يُنَادَى وَلِيدُه).

لفظه واحد، ومعناه مُختلَفٌ في تفسيره، وذكروا في شرحه أربعة أقوال:٧٠

الأول: إن الإنسان يذهل عن ولده؛ لشدّة الأمر، كقوله تعالى: ﴿يومَ تَرَوْنَها تذهَلُ كُلُّ مُرْضِعة عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾٧١.

الثاني: هو أمر عظيم، فإنما ينادَى فيه الرجالُ والجِلَّة، لا الإماء والصبية.

الثالث: هذا اليوم هو يوم تجرّدٌ وجِدٌّ، وليس بيوم أنس ولهو؛ لأن الصبيان إذا ورد الحيَّ كاهن، أو حوّاء، أو رَقَّاء؛ حُشِدوا عليه، واجتمعوا له.

الرابع: هو يوم لا وليد فيه فينادى، وإنما فيه الكُفاة والنهضة.

على هذا الضرب عامّة ما جاء في القرآن، وفي حديث النبي – p – وأقوال الصحابة مَن بعده رضوان الله عليهم، وما وردت به الأشعار وفصيح الكلام، كقوله – p – لصحابته الكرام: "لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"٧٢، حيث اختلف الصحابة بمقدار تلقي النص، وفهمه، فمنهم من أخذ بظاهر القول (القوة الحرفية) فلم يصلوا إلَّا في بني قريضة، وإن خرجت الصلاة عن وقتها، وبعضهم أخذ بتأويل النص (القوة الاستلزامية) على معنى الحث، والرغبة في المسير؛ فصلوا قبل خروج الوقت في المدينة. وأجاز النبي – p – الفريقين.

من هذا الباب ما جاء في صحيح الإمام البخاري عن ابن مسعود، عن النبي – p – :" إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ "٧٣.

الشاهد تركيب (فاصْنَعْ ما شئتَ)، ذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) – في شرحه – ثلاثة أوجه:٧٤

الأول: لفظه أمر، ومعناه الخبر، كقوله – p – :"فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"، فالمعنى: إذا لم يمنعك الحياء صنعتَ ما شئتَ، وهذا على جهة الذم؛ لترك الحياء، وهذا مذهب ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ٧٥، وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)٧٦.

الثاني: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الوعيد، والوعيد على ترك الحياء، والمعنى إذا لم تستحي فافعل ما تريد، فستجازى. كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾٧٧.

الثالث: المعنى ما لم تستحي منه – إذا ظهر – فافعله، أي: إذا كان الفعل مما لا يستحي منه شرعا، فافعله، ولا عليك من الناس، وبه بدأ ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، يقول: " وهذا يشتمل على معنيين ضدين أحدهما أن المراد به إذا لم تفعل فعلا تستحي منه فافعل ما شئت، والآخر أن المراد

به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحى منه فافعل ما شئت، وهذان معنيان ضدان: أحدهما مدح، والآخر ذم"٧٨.

٢. ٣. احتمال اللفظة الواحدة أكثر من قراءة.

أما الضرب الآخر عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فترى فيه اللفظة الواحدة صالحة لشغل أكثر من وظيفة، ويُرْجِعُ ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) سبب تعدد قراءة الكلمة الواحدة، واحتمالها أكثر من قراءة إلى غياب المفصل الصوتي، وهو "سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع؛ بقصد الدلالة على انتهاء جزء ما من الكلام، وابتداء جزء آخر"٧٩.

يمثل المفصل الصوتي وسيلة مهمة من وسائل كشف حدود الكلمات (Word Boundaries)، فليس ثَمَّ ريب أن المفصل الصوتي عامل رئيس مساعد في الكشف عن المتعين من المعاني، وأن استحضارها في الأحداث الكلامية الحية يدرأ عن السامع الولوج في مزالق اللبس الآتي من هذه الجهة، وما أكثر الأمثلة التي لا يتجلى معناها إلا باسترفاد هذه الوسيلة الهادية والمرشدة في تعيين الوحدات الصرفية المتآلفة، فضلا عن الكتابة (Writing) التي قد تلجأ إليها بعض اللغات في رفع اللبس الآتي من هذا المستوى.

تظهر المشكلة في الكلام المتواشج الموصول، ذلك أن المفاصل ليست شائعة لكونها ضربا من المقيدات المتنوعة لبداية الوحدات المعجمية وانتهائها، ويمكن تعيين أجزاء الكلمة على سبيل التمثيل بالاستعانة بمجموعة من العوامل المتضافرة، كالمغايرة الواقعة بين that Stuff) (thats tough))، ولعل هذه الصفة اللغوية من أصعب ما يواجه دارس اللغة الناطق بغير لغته، وذلك أنَّه يعسر عليه في كثير من التراكيب تفكيك وحداتها المعجمية المتداخلة صوتيا، وهو ملحظ واقع في كثير من اللغات البشرية - وقد أثبتته الدراسات التقابلية٨٠، والمبتغى هو التنبيه على لبس آت من تداخل حدود الكلم على مستوى نطقي. ومن الأمثلة التي عرضها ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) - لما يأتي لفظه على صورة واحدة؛ إلا أنها يحتمل أكثر من قراءة- قول امرئ القيس:٨١

نَطْعَنُهُمْ، سُلْكَى ومَخْلُوجَةً
كَرَّكَ لأَمَيْنِ على نابِلِ

يُنْشَدُ هذا البيت على أنه ما تراه: كرك لأمين، أي: ردّك لأمين - وهما سهمان - على نابل، . . .، ويروى أيضا على أنه: كر كلأمين، أي: كَرَّك كلأمين على صاحب النبل، كما تقول له: ارْمِ ارْمِ، تريد السرعة والعجلة"٨٢، والعلة الباعثة على تعدد اللفظة هو غياب المفصل الصوتي، ومن شواهد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ٨٣ ما جاء في بيت المثقّب العبديّ على رواية الأصمعي:

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِك نوِّلِيني
وَمَنْعُك ما سَأَلْتُ كأَنْ تَبِيني

ورواه ابن الأعرابي:

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِك نوِّلِيني
وَمَنْعُك ما سَأَلْتُك أنْ تَبِيني

فالمعنى على رواية الأصمعي، أي: مَنْعُك كَبِينك، وَإنْ كُنْت مُقِيمَةً، أما على رواية ابن الأعرابي فالمعنى: مَنْعُك إيَّايَ مَا سَأَلْتُك هُوَ بَيْنُك، ورواية الأصمعي - معنا - أجمل تخريجا، وأوسع بيانا، وهو ما رجحه ابن جني٨٤ فهي أعلى - عنده - وأذهب في معاني الشعر.

من مثل ما تقدم قول الطرماح: ٨٥

وَمَا جَلْسُ أَبْكَارٍ أطاع لِسَرْحِها
جَنَى ثَمَرٍ بالوَادِيَيْنِ وَشُوعُ

موضع المباحثة في هذا البيت قوله: (وَشُوع)، إذ فيها قولان:٨٦

الأول: أن تكون (وَشُوع) لفظة واحدة بمعنى كثير، فهي صفة لجنى ثمر الواديين.

الآخر: أن تكون (وشوع) مكونة من واو العطف، ولفظة (شُوع) وهو ضَرْب من النبت، فالواو مورفيم قائم برأسه وليس فونيما (جزءا من بنية الكلمة)، فاللبس لا يرتفع إلا بتعيين المفصل الصوتي، فتقول: (وَشُوع) و(وَ / شُوع).

من شواهد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في هذا الباب قول الشاعر:٨٧

وغَلَتْ بهم سَجْحاءُ جارية
تَهْوِي بهم في لُجَّةِ البَحْرِ

موضع النظر في هذا الشاهد قوله: (وغلت)؛ ذلك أن ثم اشتباها بين كونها ثلاث كلمات، أو كلمتين، فالثلاث على جعل: الواو عاطفة، وغلى فعل من الغليان، والتاء للتأنيث، ومن جعلها كلمتين، فهي عنده مكونة من: وغل، فالواو جزء من بنية الكلمة، فهي فعل من التوغل، والتاء كالأولى، والمُعِينُ هنا المفصل الصوتي.

من الأمثلة التي تعددت قراءة مكونها ما جاء في قول ابن مالك:

لِفَاعَلَ: الْفِعَالُ وَالْمُفَاعَلَهْ
وَغَيْرُ مَا مَرَّ السَّمَاعُ عَادَلَهْ

إن الناظر في قوله (عادله) يتردد بين معنيين لا يوقف على أحدهما إلا بالتوهم والترجيح، فهل هو (عاد / له) والفعل في

هذه الحال من العود، و(له) جار ومجرور، أو هو من (عادله)، كقولك: عادله معادلة، أي: الفعل هنا مصدره المعادلة، وهو متصل بمفعوله، فعادله بمعنى: كان السماع له عديلا٨٨، أو كان له مساويا٨٩.

تظهر قيمة المفاصل الصوتية في دراسة كثير من الظواهر البديعية، والألغاز القائمة على التعمية الصوتية، حيث يُؤْذِنُ اللبس في الأمثلة المتقدمة بتداخل حدود الكلمات صوتيا. ففي فن البديع يلجأ رجالات البلاغة إلى تغييب المفصل الصوتي، وإخفاء الانتقال بين وحدتي التركيب؛ لإحداث الإيقاع اللفظي، والمحسن البديعي الجناس التام المتشابه الذي يأتي أحد ركنيه كلمة واحدة والأخرى مركبة من كلمتين٩٠، فيوهم في البدءِ تكرير الألفاظ، لكنّها تفاجئ باختلاف المعنى، فقد "أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة، ووفّاها"٩١، والأمثلة في كتب البلاغة كثيرة جدا، وقد يَعْمُدُ منشئ الكلام إلى تغيب العلامة الإعرابية الواقعة على أواخر الكلم؛ لإيجاد هذا اللبس المقصود، حسبنا هنا التمثيل ببعض العبارات القصيرة: (جال/ سَنا القمر = جالسَنا القمر)، (هي في هواه تحت / رق = هي في هواه تحترق)، (رُفِعَتْ للرجل علامات، ولما علا مات)، (إنْ / نَما الزرع = إنَّما الزرع)، (ما حل بنا / به = ما حلَّ بنابه)، (إلى / هُنا كاف = إلهُنا كاف)، (حلا / لي = حلالي)، (كنت أطمع في تجريبك، ومطايا الجهل تجري بك)، (رحل سربي، بالله سر بي).

أما على مستوى الألغاز النحوي، فحسبنا -للتمثيل- ثلاثة شواهد، قال الفرزدق:٩٢

هَيْهَاتَ قَدْ سَفِهَتْ أُمَيَّةُ رَأْيَها
وَاسْتَجْهَلَتْ سُفَهَاؤُهَا حُلَمَاؤُهَا
حَرْبٌ تَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ بِتَشَاجُرٍ
قَدْ كَفَّرَتْ آبَاؤُهَا أَبْنَاؤُهَا

- سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد عن هذا البيت:٩٣

لَا يَكُونُ الْعِيرُ مُهْرًا
لَا يَكُونُ الْمُهْرُ مُهْرٌ

- قول الملغز:٩٤

أَكَلْتُ دَجَاجَتَانِ وَبَطَّتَانِ
قَدْ رَكِبَ الْمُهَلَّبُ بَغْلَتَانِ

يفترض بقارئ شعر الفرزدق أن يقف عند (استجهلت) و(كفرت) ثم يستأنف فيقول: سفهاؤها حلماؤها، وفي البيت الثاني يقول: آباؤها وأبناؤها، ولكن الوصل أوهم أن (سفهاؤها وآباؤها) فاعل٩٥.

ل إغفال الكسائي المفصل الصوتي والتنغيم هو الذي أفضى به إلى اللحن، حيث وهم الكسائي أن الشاعر قد أقوى؛ ذلك أن (كان) تطلب اسما مرفوعا، وخبرا منصوبا، إنما الشاعر ابتدأ فقال: (المهر مهرٌ)، والمعنى أن (لا يكون) الثانية هي توكيد للأولى، و(المهر مهر) مبتدأ وخبر.

أما الشاهد (دجاج، وبط، وبغل) فليست مثنى، بل هي كلمة مفردة أضيفت إلى (تان) وهو التاجر من التناءة وهي التجارة، ومثله قول الملغز:٩٦

سَأَتْرُكُ مُهْرَتِي رَجُلٌ فَقِيرٌ
وَأَرْكَبُ فِي الْحَوَادِثِ مُهْرَتَانِ

إن قيمة المفصل الصوتي ليس مقصورا على تعيين حدود الكلمات، وتمايزها فحسب، فهو ينسحب على تراكيب كثيرة في اللغة العربية عموما، وفي تراكيب التنزيل العزيز خصوصا،؛ لهذا اتصل بمطلب الوقف والابتداء في الكتاب العزيز، وهو مطلب له خطره في إقامة المعاني، وعليه يترتب فوائد كثيرة، فبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتغايرين٩٧.

خاتمة العمل

إن العربية - واللغات البشرية - تعمد إلى الأداء الداخلي والخارجي وتضافر العناصر اللغوية وغير اللغوية المصاحبة الكلام لرفع الاشتباه الذي قد يحصل في قراءة تركيبها، فالأصل الذي تقوم عليه هذه اللغات هو الإبانة والتواصل، فلما كان اللبس من أهم ما يشين هذه الخاصية لجأت اللغات إلى جملة من الوسائل المعينة على رفع هذا الخطر الذي يهدد دلالة التركيب، ويُعَكِّرُ صفو بيانها، أو يلبس معناها، وكان من أهم الوسائل التي استعانت بها العربية الأداء الخارجي بعنصريه اللغوي وغير اللغوي فلا وجه للمقارنة بين متكلم وكاتب، فالنص المسموع أقرب إلى المتلقي بما يملكه من عناصر لغوية وغير لغوية تحرك المعاني، وترسم الدلالة، وتوصل المراد بأقرب طريقة، أما النص المكتوب فهو حالة أشبه بالموت؛ إذ الكتابة لا يمكن أن تصور حركات الجسم (gestures)، وتعبيرات الوجه، وغير ذلك من الملامح، والحركات التي تصحب الكلام - عادة - كالتنغيم، والمفاصل الصوتية، والنبر، لذا كان الأداء الخارجي من أهم الوسائل المعينة على بيان المعاني، وتحديد دلالة التركيب.

هذا وتبقى العربية تملك المكنة

لرفع اللبس من تراكيبها أو التقليل منه؛ فطرائقها في ذلك كثيرة، فقد يلجأ المرء – لتبيين المعنى – إلى العلامة الإعرابية، أو الأقواس، أو بسط الكلام، ومد السياق البنيوي مدا أفقيا.

الهوامش

١- عبد العزيز مطر: علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، قطر، دار قطري بن الفجاءة، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٤، وميشال زكريا: الملكة اللسانية عند ابن خلدون، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٦، ص ١١، وحلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٩٢، ص ٢٠، وتمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط ٥، ٢٠٠٦، ص ٣٤.

٢- الشاذلي الهيشري: اللبس خاصية في الجهاز أم حالة طارئة على الإنجاز، ندوة المعنى وتشكله، وهي أعمال الندوة الملتئمة بكلية الآداب بمنوبة، في ١٧، و١٨، و١٩ نوفمبر ١٩٩٩، تكريما للأستاذ عبد القادر المهيري، منشورات كلية الآداب بمنوبة، ج ٢ ص ٨٤٦.

٣- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٥، ص ١١٩.

٤- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط ٩، ٢٠١٠، ص ٤٣.

٥- حمدان أبو عاصي: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٧، العدد ٢، يونيو٢٠٠٩، ص ٥٩.

٦- فاطمة المحجوب: دراسات في علم اللغة، القاهرة، دار النهضة العربية، د. ط، د. ت، ص ١٠٩.

٧- أول من فرق بين مصطلحي اللغة والكلام العالم اللغوي دي سوسير (De. Saussure) رائد الدرس اللغوي الحديث، الذي يرى أن اللغة أصوات دالةٌ متعارف عليها في مجتمع معين، وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من أفراده، أما الكلام أو الأقوال المنطوقة فكل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة، ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين. (فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، ١٩٨٥).

٨- الكفاية اللغوية نظام القواعد النحوية الموجودة في الدماغ الإنساني الذي يمكن أن يعرف به المرء لغته شكلا ومضمونا بوجهيها الكلامي والفهمي، أما الكلام فهو نتاج الفرد، أو الأداء اللغوي عند تشومسكي، أي: الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة في اللغة، أو هو استعمالها الآني ضمن سياق معين. (مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دمشق، دار طلاس، ط ١، ١٩٨٨، ص ١١٦، وميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط ١، ١٩٩٢، ص ٤٧، ومنقور عبد الجليل: علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ٧٧، وحمدان أبو عاصي: تراكيب أسلوب النداء في العربية، دراسة وصفية في ضوء علم اللغة التوليدي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد ١٦، العدد ١، يناير ٢٠٠٨، ص ٢١٣).

٩- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي): لسان العرب، تحقيق ياسر أبو شادي، ومجدي السيد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د. ط، د. ت، مادة: ل. ب. س .

١٠- المرجع السابق، مادة: غ. م. ض.

١١- المرجع السابق، مادة: ب. هـ. م.

١٢- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨٢، ج ٢ ص ص ١١٩- ١٢٠، وشفيع السيد: الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، القاهرة، دار الفكر العربية، ط ١، ١٩٨٦، ص ٨٢، وخالد سليمان: أنماط من الغموض في الشعر العربي الحر، جامعة اليرموك، أربد، ١٩٨٧، ص ٩.

١٣- فريال جبوري: فيض الدلالة وغموض المعنى في شعر محمد عفيفي مطر، مجلة فصول، المجلد ٤، العدد ٣، ١٩٨٤، ص ١٧٦، وخالد سليمان: أنماط من الغموض، ص ١٧، وحلمي خليل: العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٨، ص ص ٢٥ – ٢٩، وينظر: عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، بيروت، دار الثقافة، ط ١، ١٩٩٩، ومحمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب، بيروت، دار العودة، ط ١، ١٩٨٤، وخليل الموسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، دمشق، مطبعة الجمهورية، ط ١، ١٩٩١.

١٤- خالد سليمان: أنماط من الغموض، ص ١٧، وحلمي خليل: العربية والغموض، ص ص ٢٨ - ٢٩.

١٥- فريال جبوري: فيض الدلالة وغموض المعنى، ص ١٧٦، وخالد سليمان: أنماط من الغموض، ص ١٧، وحلمي خليل: العربية والغموض، ص ٢٥.

١٦- حمزة الكتاني: قدرة اللغة العربية على مسايرة الإبداعات والتجديدات في مجال العلوم الطبية والطبيعية، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، العدد ٤٩، ١٩٩٩، ص ٣، وسلوى حمادة: اللبس في لغات الكلام وطرق فكه، المؤتمر الخامس لهندسة اللغة، القاهرة، ١٤- ١٠ سبتمبر ٢٠٠٥، ص ٣، ورأفت الكمار: الحاسوب وميكنة اللغة العربية، القاهرة، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٤٦٧.

١٧- أحمد شفيق الخطيب: الترجمة الآلية بين الحقيقة والخيال، مقال في جريدة الرياض، العدد ٩٥٩٣، الخميس ٢٤ / ٤ / ١٤١٥هـ - ٢٩ / ٩ / ١٩٩٤، ص ٢٤.

١٨- مهدي أسعد عرار: ظاهرة اللبس في العربية جدل التواصل والتفاصل، عمَّان، دار وائل، ط ١، ٢٠٠٣، ص ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

١٩- تمام حسان: الأصول، القاهرة، عالم مطابع الهيئة المصرية، ط ٤، ١٩٨٢، ص ٣٣٥، وعباس حسن: النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف، ط ٥، د. ت، ج ١ ص ٣١١ التذييل.

٢٠- في هذا يقول الهيشري: "القواعد النحوية قد صيغت في الأساس لتحاشي الوقوع في اللبس، وأن هذه الغاية تفهم ضمنيا، أو يعلن عنها بصريح العبارة" (الشاذلي الهيشري: اللبس خاصية في الجهاز أم حالة طارئة على الإنجاز، ص ٨٧٢).

٢١- تمام حسان: الأصول، ص ٢٠٨، وزين كامل الخويسكي: مواضع اللبس عند النحاة والصرفيين، مصر، دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٩، ص ١.

٢٢- إبراهيم محمد: القاعدة النحوية في ضوء تقييدها بأمن اللبس أو خشية الوقوع فيه، مجلة التراث العربي، دمشق، السنة ٢٦، العدد ١٠١، يناير ٢٠٠٦، ص ٢.

٢٣- الزركشي (محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٤، ج ١ ص ٢١٢، والسيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٨٧، ج ١ ص ٦٤٢.

٢٤- ابن طباطبا (أبو الحسن أحمد بن محمد): عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار، ومراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٦.

٢٥- الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٩٩٢، ص ٣٨١.

٢٦- ابن جني: الخصائص، ج ١ ص ٢٣٧.

٢٧- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، ط ٢، ١٩٩٧، ج ٢ ص ٢١٩.

٢٨- ابن جني: الخصائص، ج ١ ص ٢٩٢.

٢٩- المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٥٩.

٣٠- سورة الطارق: ٨ - ٩.

٣١- من هذا قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ (سورة غافر: ١٠)، يتعلق إِذْ بالمقت، والإعراب يمنعه؛ للفصل، فيقدر له فعل يدل عليه.

٣٢- جاء في هذا الباب: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن، فقولك: (أتيتك أمس)، و(سآتيك غدا). وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: (أتيتك غدا)، و (سآتيك أمس) . وأما المستقيم الكذب، فقولك: (حملت الجبل)، و (شربت ماء البحر) ونحوه. وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: (قد زيدا رأيت) و(كي زيدٌ يأتيك) وأشباه هذا. وأما المحال الكذب، فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر أمس)". (سيبويه: الكتاب، ج ١ ص ٥٢).

٣٣- كان تشومسكي (Chomsky) يرى أن العملية النحوية مستقلة عن العملية الدلالية، وكان يعطي الأولوية التحليل النحوي قبل دراسة المعنى أو الدلالة، إلا أن أفكاره التحليلية - اعتمادا على المكون النحوي فقط - تصادمت مع جملة من التراكيب لا يمكن قبولها في الاستعمال اللغوي دون

اللجوء إلى اتحاد عنصر النحو والدلالة، مما دفعه – بعد مضي السنوات على نشر كتابه (البنى النحوية) – إلى مزج النحو بالدلالة (جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١٦٠).

٣٤- يقول سيبويه (ت ١٨٠ هـ): "إن العرب تقول: هذا أنت تقول كذا وكذا، لم يرِد بقوله: (هذا أنت)، أن يعرّفه نفسَه، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيره. هذا محال، ولكنه أراد أن ينبهه، كأنه قال: الحاضرُ عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنت" (سيبويه: الكتاب، ج ٢ ص ٣٧٥).

٣٥- سيبويه: الكتاب، ج ١ ص ١٩٥.

٣٦- المرجع السابق، ج ١ ص ٣٦٨.

٣٧- سعيد بحيرى: عناصر النظرية النحوية، ص ١٧٣.

٣٨- سيبويه: الكتاب، ج ١ ص ٤٣٥.

٣٩- ينظر باب ما ينتصب من الأسماء التي ليست بصفة ولا مصادر لأنه حال يقع فيه الأمر فينتصب لأنه مفعول فيه. (المرجع السابق، ج ١ ص ٤٦٠).

٤٠- تركز جهد أبي عثمان الجاحظ على شفافية الخطاب، وهي قدرة العلامة والنص على الإشارة إلى ما سواهما، من هنا انطبعت محاولة الجاحظ بطابع نفعي واضح، يمكن أن يعدّ – بدون مبالغة – أكمل محاولة في التراث اللغوي العربي لتأسيس ما يسمى بنفعية الخطاب (حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس الهجري، تونس، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١، ص ص ٣٠٠ – ٣٠١) وينظر: راضية بو بكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣٩٩، يوليو، ٢٠٠٤، ص ٣.

٤١- يقول عبد الكريم مجاهد " أن ما توصل إليه فيرث (Firth) حول نظريته الدلالية، هي نفسها النظرية الدلالية عند ابن جني، لكنها لم تأخذ شكلا يميزها من بين صفحات كتبه عامة، والخصائص خاصة حيث جاءت مبعثرة" (عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، الأردن، دار الضياء، د. ط، د . ت ، ص ١٥٧).

٤٢- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية، القاهرة، الشركة المصرية العامية للنشر، ط ١، ١٩٩٧، ص ٩.

٤٣- عدنان ذريل: اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ١٩٨٠، ص ٢٢٩، وأحمد عبد السلام: التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، العدد ٩، ١٩٩٢، ص ٣٩٠.

٤٤- محمد حماسة: النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، القاهرة، دار غريب، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٥٣ ، وكوليزار كاكل عزيز: القرينة في اللغة العربية، عمَّان، دار دجلة، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٩٨، وسعيد بحيرى: عناصر النظرية النحوية، القاهرة، مؤسسة المختار، د. ط. د. ت، ص ١٥٩.

٤٥- الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، تحقيق سعد كريم الفقي، القاهرة، دار اليقين، ط ١، ٢٠٠١، ص ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

٤٦- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية، ط ١،١٩٨٠، ص ٨٨، ومصطفى ناصف: نظرية التأويل، جدة، النادي الأدبي والثقافي، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١١، ومحمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، بيروت، دار النهضة العربية، د. ط، د. ت، ص ص٢٦٣.

٤٧- حسام فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٤٠.

٤٨- محمد حماسة: فتنة النص (بحوث ودراسات نصية)، القاهرة، دار غريب، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٧٦.

٤٩- جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، ترجمة مصطفى التوني، القاهرة، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٨١، ص ٣٨، وعبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٢٢٦، ماريو باي: أسس علم اللغة، ص ٩٤.

٥٠- سورة الإنسان: ١.

٥١- سورة البقرة: ٢٥.

٥٢- ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ٣٨٩.

٥٣- مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص ١٦.

٥٤- دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ٣٥.

٥٥- كارل بونتنج: المدخل إلى علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، القاهرة، مؤسسة المختار، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ٥٢.

٥٦- حسام فرج: نظرية علم النص، ص ١٤، ومصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط، ص ١٣.

٥٧- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس، المطبعة العربية، ط ١، ١٩٨٦، ص ٣٠.

٥٨- جعل بعض المفسرين معنى الآية: هذا الذي وعدنا في الدنيا أن نرزقه في الآخرة، فعلى هذا القول يكون المبتدأ، هو نفس الخبر، ولا يكون التقدير مثل.(أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي: تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود، وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١، ج ١ ص ٢٥٨).

٥٩- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، ط ١، ١٩٦٨، ج ١ ص ٢٧٩.

٦٠- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١١٨.

٦١- مدكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٧، ص ١١٣.

٦٢- كلمة (فان) - في اللغة الصينية - تؤدي ستة معان، حسب توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية هي: نوم - يحرق - شجاع -واجب - يقسم - مسحوق. (صبيح التميمي: دراسات لغوية في التراث القديم، صرف، نحو، تركيب، دلالة، معاجم، مناهج البحث، بيروت، دار أسامة، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٦٤).

٦٣- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٣٤.

٦٤- جوزيف ڤندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط، ١٩٥٠، ص ١٠٩.

٦٥- السعران: علم اللغة، ص ١٩٨.

٦٦- كريم زكي حسام الدين: الدلالة الصوتية (دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٩٢، ص ص ١٥ - ١٦، ومحمد حبلص: أثر الوقف على الدلالة التركيبية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط ١، ١٩٩٣، ص ص ١٥ - ١٧.

٦٧- سيبويه: الكتاب، ج ١ ص ٢٢٦.

٦٨- ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ١٥٠.

٦٩- المرجع السابق، ج ٢ ص ص ٣٨٥ - ٣٨٧ بتصرف.

٧٠- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): أدب الكاتب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ط ٤، ١٩٦٣، ص ص ٤٦ - ٤٧، وابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ٣٨٥، والزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧، ج ١ ص ٣٦١، والأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم): الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٢، ج ١ ص ٢٨٢.

٧١- سورة الحج: ٢.

٧٢- الحميدي (محمد بن فتوح): الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، بيروت، دار ابن حزم، ط ٢، ٢٠٠٢، ج ٢ ص ١٨٩.

٧٣- الإمام البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل): الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٩٨٩، ص ٤٤٦.

٧٤- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي): كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق علي حسين البواب، الرياض، دار الوطن، ط ١، ١٩٩٧، ج ١ ص ٤٣٧.

٧٥- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، بيروت، مكتبة المعارف، ط ١، ١٩٩٣، ص ٤٦.

٧٦- ابن سيده (علي بن إسماعيل): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٣ ص ٣٩٩.

٧٧- سورة فصلت: ٤٠.

٧٨- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨، ج ١ ص ٤٦.

٧٩- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٢٣١.

٨٠- من نظير هذا في اللسان الفرنسي لفظة (siǯlaprã)، (دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ص ١٦٢).

من الأمثلة في اللسان الإنجليزي: (nitrate – night rate)، (a nice man – an ice man)، (a name – an aim).

٨١- ديوان امرئ القيس، بيروت، دار صادر، د. ط، د. ت، ص ١٤٨.

٨٢- ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ٣٨٧.

٨٣- المرجع السابق، ج ٢ ص ٣٨٧.

٨٤- المرجع السابق، ج ٢ ص ٣٨٧.

٨٥- الشعر للطرماح بن حكيم، ينظر: ديوانه، تحقيق عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق، ١٩٦٨، ص ٢٥٩.

٨٦- ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ٣٩٠.

٨٧- بلا نسب، ابن جني: الخصائص، ج ٢ ص ٣٩١، وابن دريد: جمهرة اللّغة، تحقيق رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٧، مادة (ر، غ، م).

٨٨- الصبان (علي محمد): حاشية الصبان على شرح الأشموني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧، ج ١ ص ٤٦٥، وابن عقيل: (عبد الله بن عقيل): شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٩٨٥، ج ٣ ص ١٠٠.

٨٩- عباس حسن: النحو الوافي، ج ٣ ص ٢٠٤.

٩٠- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٣٩٤.

٩١- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، بيروت، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٩، ص ٩.

٩٢- الشعر للفرزدق،لم يرد في الديوان إلا بيت الأول، وقد روي بنصب (حلماءها)، ديوانه، شرحه عمر الطباع، بيروت، دار الأرقم، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٥.

٩٣- ابن هشام: ألغاز ابن هشام، تحقيق أسعد خضير، دمشق، دار الحكمة، ط ٣، ١٩٨٥، ص ٢٢.

٩٤- علي بن عدلان: الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب، تحقيق حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٣٧، وابن هشام: ألغاز ابن هشام، ص ١٩.

٩٥- علي بن عدلان: الانتخاب، ص ٤، وابن هشام: ألغاز ابن هشام، ص ٢٤، وعبد العزيز علي سفر: الألغاز النحوي وأمن اللبس، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الحولية ٢٠ من حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ١٤١، ٢٠٠٠، ص ٣٨.

٩٦- ابن هشام، ألغاز ابن هشام، ص ١٨.

٩٧- الضباع (الشيخ علي بن محمد): الإضاءة في بيان أصول القراءة، القاهرة، طبع بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط ١، ١٩٣٦، ص ٣٤.